الدرس الرابع

التعليق على أمثال القرآن من إعلام الموقعين

فضيلة الشيخ مشهور بن حسن -حفظه الله-

الشيخ لم يراجع الدرس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد.

قال المؤلف : ((وقد ذكر سبحانه المثلين المائي والناري في سورة الرعد ولكن في حق المؤمنين فقال تعالى) :أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ) (... ١٦ (شبه الوحي الذي أنزله لحياة القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات وشبه القلوب بالأودية) ١٧ (فقلب كبير يسع علما عظيما كواد كبير يسع ماء كثيرا وقلب صغير إنما يسع بحسبه كالوادي الصغير فسالت أودية بقدرها واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها كما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتملت) ١٨ (غثاء وزبدا فكذلك الهدى والعلم إذا

خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويذهبها كما يثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه فتكرب) ١٩ (عنه بها شاربه وهي من تمام نفع الدواء فانه أثارها ليذهب بها فإنه لا يجامعها ولا يساكنها وهكذا) يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ (ثم ذكر المثل)).

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله .

أما بعد .

فهذان مثلان ضربهما الله تعالى للحق والباطل ، سبق أن ذكرنا المثل المائي والمثل الناري للمنافقين ، وهذان مثلان وسمعتم المثل الأول وهو المثل المائي في الحق والباطل.

الآية صريحة ، فالله عز وجل قال:" كذلك يضرب الله الحق والباطل " فالمثلان في الحق والباطل، مثل ظاهر غير كامل ومثل في ميدان العقيدة ، ومثل فيه تشبيه متصور غير محسوس وهو الحق وهو الباطل بشيء محسوس ، والشيء المحسوس الوادي.

أقول وبه أستعين سبحانه وتعالى ، الحق و الباطل والصراع بينهما سنة لله تعالى باقية

لا تتخلف ، وهنالك قانون مدافعة ذكره الله تعالى في كتابه يحتاج إلى سلسلة كبيرة من المحاضرات حتى يتضح قانون المدافعة على وجه مهم.

المقام الذي أنا فيه الآن مقام تفصيل ، مثل الحق والباطل فيما ذكر الله تعالى في سورة الرعد ، والذي يتأمل هذين المثلين يجد أن من قانون المدافعة أن الباطل إن انتفش وانتفخ وظهر في صورة فإنه لا بقاء له ولا فائدة منه ، فهو زبد وهذا الزبد لا يبقى وهذا الزبد لا ينتفع منه ، هذا المثل بإيجاز.

فالمصارعة بين الحق والباطل سنة من سنن الله عز وجل ، وضرب الله تعالى مثل مائي ومثل ناري وكلاهما يدلان على أن قال الله تعالى " العاقبة للتقوى " ، قال الله تعالى " والعاقبة للمتقين."

في هذا الصراع لابد أن يظهر الخير المائي للمنافق في سورة البقرة فيما تقدم فيه رعد وبرق وظلمات وهذا نصيب الباطل، نصيب النفاق والنفاق جزء وشيء من الباطل .

وأما نصيب الحق ونصيب المؤمن فهو الماء الذي فيه الحياة والذي فيه البقاء والذي فيه النفع ، وأما الباطل في المثل المائي وهو الذي يعنينا الآن بالوحي والسنة والدين والشرع ، ما جاءنا من شرع الله عز وجل شبهه الله تعالى بالماء من السماء ، أنزل من السماء ماء الذي فيه وعليه مدار الحياة والنجاة ، عليه مدار الحياة والنجاة.

((أنزل من السماء ماء فسالت أودية.))

عجيب! عجيب !

سالت أودية !

تنزل الماء من السماء.

تسيل الأودية ولا يسيل الماء الذي في الأودية.

ما الذي يسيل؟

الماء أم الأودية؟

هذا يحتاج منا إلى بيان.

الإمام ابن القيم أجمل ما سمعتم في كتابه إعلام الموقعين وطول شديداً في هذا المثل ، في كتابه الوابل الصيب ، وفصل فيه شديداً وتفصيلاً مهماً.

قال رحمه الله تعالى في كتابه الوابل الصيب: ومن منهجنا أننا نشرح كلام ابن القيم بكلامه، كلامه المجمل بكلامه المفصل حتى يتضح لنا الكلام.

قال الإمام ابن القيم في الوابل : ((ونظير هذين المثلين المذكورين في سورة الرعد في قوله تعالى: {أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً} فهذا هو المثل المائي شبه الوحي الذي أنزله بحياة القلوب بالماء الذي أنزله من السماء، وشبه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل، فقلب كبير يسع علماً عظيماً كواد كبير يسع ماء كثيراً، وقلب صغير كواد صغير يسع علماً قليلاً، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها، كما سالت الأودية بقدرها))

الأودية ليست سواء ، معنى الأودية المكان الذي يجري فيه الماء هذا هو الوادي.

قال: قال الله عز وجل " أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها"

قال بعدها " فاحتمل السيل زبداً رابياً "

الزبد المشبه به ، الزبد رغوة وهذه الرغوة لا ينتفع بها ، لكن هذه الرغوة لابد لها من محل لابد لها من مكان تتعلق به فتتعلق في المثل المائي تتعلق بالماء ولها تعلق في المثل الناري يأتينا في حينه إن شاء الله تعالى.

فالزبد مشبه به ، والزبد ما يحمله الماء عند جريانه وعند جيشانه ، يحمل أتربة ويحمل غيرها ، ولا ريب أن هذا الزبد يذهب ويزول ولا بقاء له ، وأن هذا الزبد لا نفع فيه، فهو صوت كأزيز، كأزيز الصوت الذي يخرج من جهاز من طائرة ،أزيز لا وزن له لا نفع فيه لا فائدة منه.

قال الإمام ابن القيم : ((ولما كانت الأودية ومجاري السيول فيها الغثاء ونحوه مما يمر عليه السيل فيحتمله السيل فيطفوا على وجه الماء زبداً))

هذا هو الأصل في محل في مكان الغيب ، في مكان الغثاء مكان الغثاء أين يكون؟

يكون على الوجه، فهو لا يشكل شيئاً من حجم السيل لا يشكل شيء لا يكثره ، هو باطل ولا نفع فيه ، ولكن قال الله عز وجل في الآية " فسالت أودية " ، الوادي يسيل ، وفي هذا أن الوادي قد طم وعم وكأنك لا ترى الوادي المكان الذي يجري فيه ، كأنك ترى سيلاناً شديداً للماء وأنه يتحرك حتى أن الوادي يسيل ، وهذا من بلاغة القرآن ، الوادي لا يسيل ، ومع هذا السيلان وهذه الحركة وهذه المدافعة وهذا القانون الذي والذي ترون الآن شيئاً من آثاره في

غزة ، هو مثل هذا المثل، هذه مفردة من مفردات صراع الحق والباطل ، هذا الصراع ولأن الماء شديد وعم وطم قد يكون له مكان في بعض الأحايين بأن يختلط بالماء ولا يبقى على الوجه الوادي، والوادي درجات في السيلان، والوادي شديد قد يخالط الماء، لكن السرعة سرعة الجريان تعطيه مكانه وتعطيه محله وتعطيه المكانة اللائقة به الذي لا ينبغي أن يتجاوزه البتة.

أنه ينتهي في النهايات في نهاية هذا المثل أن الباطل ينتهي.

قال ابن القيم في الوابل الصيب: ((ولما كانت الأودية ومجاري السيول فيها الغثاء ونحوه مما يمر عليه السيل فيحتمله السيل فيطفوا على وجه الماء زبداً عالياً، يمر عليه متراكباً، ولكن تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض، فيقذف الوادي ذلك الغثاء إلى جنبتيه حتى لا يبقى الماء الذي تحت الغثاء يسقي الله تعالى به الأرض فيحيي به البلاد والعباد والشجر والدواب، والغثاء يذهب جفاء يجفي ويطرح على شفير الوادي))

هذا الماء يحيي البلاد، يحيي القلوب، فيه الحياة.

والغثاء يلقيه الماء، هذا الغثاء يكون بعيداً، لماذا هذا الغثاء يبقى بعيداً؟

سُنّة لله حتى تشرب الماء الصافي، وهذا الغثاء يندحر ويبتعد حتى يظهر الحق الظاهر.

لذا نحن نقول: لا نخاف على ديننا نحن نخاف على أنفسنا، ومن سلك طريق الحق وصل، ومن مشى مشي السلحفاة.. مشي النمل في الطريق وصل، ومن تعجل فركب الصاروخ والطائرات ولم يمشي في الطريق تعب، تعب بمقدار العجلة التي ركبها، نحن لا نخاف على ديننا،

الدين دين الله عز وجل، فالله لا يخفى عليه شيء، ولا يعجزه شيء، وهو عادل، ولكننا نخاف على أنفسنا، والواجب علينا أن نتفقد أنفسنا بأن نبقى في الطريق، ولا يهيجنا الغثيان على أن نخرج منه، وألا نُستفَز لنخرج عن الطريق المستقيم.

قال الإمام ابن القيم: ((فكذلك العلم والإيمان الذي أنزله في القلوب فاحتملته)).

القلب يحتمل العلم والايمان، لما القلب يحتمل العلم والايمان يوجد في القلب غثاء فهذا الحق كالدواء فالدواء إن شُرب يُثير الداء ويثير الداء من أجل أن يقذفه وأن يبعده حتى يكسب الانسان الشفاء بهذا الدواء، فكذلك الايمان والعلم يثير الشهوات المحرمات والشبهات يثيرها، لماذا يثيرها؟

حتى تصبح غثاءً، فكل من طلب العلم وصفى، فقَبْل أن يستقر على الصفا وهو في مرحلة الصفاء لابد أن تنازعه الشبهة والشهوة المحرمة.

قال ابن القيم: ((فكذلك العلم والايمان الذي أنزله الله في القلوب فاحتملته، فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة، فطفى في أعلاها، واستقر العلم والايمان والهدى في جذر القلب)).

هذا حال الصحابة ، وهذا الذي أخبر عنه نبينا -ﷺ- فيما أخرج مسلم في صحيحه من حديث حذيفة -رضي الله تعالى عنه- قال: ((سمعت رسول الله -ﷺ- يحدث بحديثين أما أحدهما فقد رأيته وأما الآخر فأنا أنتظره، أخبرنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم

علموا من الكتاب ثم علموا من السنة)) هذا الحديث الذي رآه وهو يقصه وهو ويخص أصحاب النبي -صلى الله وسلم-.

الحديث: {حَدَّثَنَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أحَدَهُما وأَنَا أنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: أنَّ الأمَانَةَ نَزَلَتْ في جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ وحَدَّثَنَا عن رَفْعِهَا قالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأمَانَةُ مِن قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أثَرُهَا مِثْلَ أثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى فِيهَا أثَرُهَا مِثْلَ أثَرِ المِجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ علَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وليسَ فيه شيءٌ، ويُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فلا يَكَادُ أحَدٌ يُؤَدِّي الأمَانَةَ، فيُقَالُ: إنَّ في بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أمِينًا، ويُقَالُ لِلرَّجُلِ: ما أعْقَلَهُ وما أظْرَفَهُ وما أجْلَدَهُ، وما في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمَانٍ ولقَدْ أتَى عَلَيَّ زَمَانٌ، ولَا أُبَالِي أيُّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإسْلَامُ، وإنْ كانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وأَمَّا اليَومَ: فَما كُنْتُ أُبَايِعُ إلَّا فُلَانًا وفُلَانًا}.

الراوي: حذيفة بن اليمان | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 7086 | خلاصة حكم المحدث: [صحيح] | التخريج: أخرجه مسلم (143) باختلاف يسير.

الإيمان نزل في أعماق قلب الانسان، إن الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال، الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال أي الأصل، جذر الشجرة أصلها، وجذر العدد أربعة هو اثنان، فالجذر هو الأصل، إن الامانة نزلت في قلوب الرجال وهكذا النساء فلا فرق بين الرجال والنساء، وذَكَر النبي -ﷺ- الرجال مراعاة للمخاطبين لأنهم كانوا أمامه، وهذا على حد قول الشاعر:

كُتِب القتل والقتال علينا

وعلى الغاليات جَرُّ الذيول

أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من الكتاب والسنة، قال: ((وأخبرنا عن رفعها))، رفع الامانة هذا الذي عنى به حذيفة قال: ((أخبرنا بحديثين أما أحدهما فقد رأيته وأما الآخر فأنا أنتظره))، فأنت يا حذيفة صَدَّقت رسول الله -ﷺ- ونحن نصدقه، صدقته بالرؤيا والمشاهدة والعيان ونحن نصدقه كذلك، فقد رأينا ما لم ترى، أخبرنا عن رفعها ، أي عن رفع الأمانة فقال: ((ينام الرجل النومة)) النومة يعني دلالة على السرعة، قال: ((ينام الرجل النومة فترفع الأمانة من قلبه ولا يبقى فترفع من قلبه فيبقى أثرها مثل أثر الوكت))، الوكت اللون الذي يبقى على اليد، مثل واحد ميكانيكي يعلق في يده الأوساخ فيزيلها فيبقى لون داكن، يبقى لون فقط، فيبقى أثرها مثل أثر الوكت، ((ثم ينام النومة)) ينام مرة اخرى دلالة على العجلة، ((ثم ينام النومة فترفع الأمانة من قلبه فيبقى أثرها مثل اثر المِجْل)).

ما هو المجل؟

النبي فسره -ﷺ- قال: ((كحَجَر دحرجته على رِجلِك فَنَفِطَ فتراه مُنتفِخاً))، مثل المزارع يحمل الفأس لأول مرة، أنا وإياكم إن حملنا الفأس يظهر ماء حب ماء انتفاخ ، هذا حب الماء في الحديث الله جل في علاه شبهه بالغثاء شبهه بالغثاء، الغثاء لا وزن له، كما في الحديث .

قال: ((فكذلك العلم والإيمان الذي أنزله في القلوب فاحتملته فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة يطفو في أعلاها، واستقر العلم والإيمان والهدى

في جذر القلب فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاء ويزول شيئاً فشيئاً حتى يزول كله، ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص في جذر القلب يرده الناس فيشربون ويسقون ويمرعون)).

يا الله لو أن العبد استقر الهدى والإيمان في قلبه ببعدٍ عن الشهوة والشبهة لرأيت لرأيت عجباً، ولذا ابن القيم تَعَرَّض لمعنى عجيب في قوله -ﷺ-: ((من كان آخر كلامه لا إله إلّا الله دخل الجنة))، العبد وهو في سكرات الموت، وفَقَدَ كل شيء، فَقَدَ قوته وبالتالي لا شهوة محرمة عنده، فإذا أكرمه الله، وأسأل الله أن يكرمنا وأن يجعل آخر كلامنا من هذه الحياة: "لا إله إلّا الله" وأن يجعل خير أيامنا يوم نلقاه -سبحانه وتعالى-، فإذا وُفِّق العبد لقول :"لا إله إلّا الله" ولا شهوة عنده، هذه المقولة لها أثر عجيب على نفس الإنسان.

يقول ابن القيم في كتابه (الفوائد) يقول: ((لشهادة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله عِنْد الْمَوْت تَأْثِير عَظِيم فِي تَكْفِير السَّيِّئَات وإحباطها)).

إذا قال العبد هذه الكلمة تكفر سيئاته كلها، ولكن لا يُكرم العبد بمثل هذه المقولة إلا بعد مجاهدة وبعد جولات في الصدق ومجاهدة النفس.

يقول: ((لِأَنَّهَا شَهَادَة من عبد موقن بهَا عَارِف بمضمونها قد مَاتَت مِنْهُ الشَّهَوَات ولانت نَفسه المتمردة وانقادت بعد إبائها واستعصائها وَأَقْبَلت بعد إعراضها وذلت بعد عزها وَخرج مِنْهَا حرصا على الدُّنْيَا وفضولها واستخذت بَين يَدي رَبهَا وفاطرها ومولاها الْحق أذلّ مَا كَانَت لَهُ وأرجى مَا كَانَت لعفوه ومغفرته وَرَحمته وتجرد مِنْهَا التَّوْحِيد بِانْقِطَاع أَسبَاب الشّرك وَتحقّق بُطْلَانه فَزَالَتْ مِنْهَا تِلْكَ المنازعات الَّتِي كَانَت مَشْغُولَة بهَا وَاجْتمعَ همها على من أيقنت

بالقدوم عَلَيْهِ والمصير إِلَيْهِ فَوجه العَبْد وَجهه بكليته إِلَيْهِ وَأَقْبل بِقَلْبِه وروحه وهمه عَلَيْهِ فاستسلم وَحده ظَاهرا وَبَاطنا واستوى سره وعلانيته فَقَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله مخلصا من قلبه وَقد تخلص قلبه من التَّعَلُّق بِغَيْرِهِ والالتفات إِلَى مَا سواهُ قد خرجت الدُّنْيَا كلهَا من قلبه وشارف الْقدوم على ربه وخمدت نيران شَهْوَته وامتلأ قلبه من الْآخِرَة فَصَارَت نصب عَيْنَيْهِ وَصَارَت الدُّنْيَا وَرَاء ظَهره فَكَانَت تِلْكَ الشَّهَادَة الْخَالِصَة خَاتِمَة عمله فطهّرته من ذنُوبه وأدخلته على ربه لِأَنَّهُ لَقِي ربه بِشَهَادَة صَادِقَة خَالِصَة وَافق ظَاهرهَا بَاطِنهَا وسرها علانيتها فَلَو حصلت لَهُ الشَّهَادَة على هَذَا الْوَجْه فِي أَيَّام الصِّحَّة لاستوحش من الدُّنْيَا وَأَهْلهَا وفر إِلَى الله من النَّاس وَأنس بِهِ دون مَا سواهُ لكنه شهد بهَا بقلب مشحون بالشهوات وَحب الْحَيَاة وأسبابها وَنَفس مَمْلُوءَة بِطَلَب الحظوظ والالتفات إِلَى غير الله فَلَو تجردت كتجردها عِنْد الْمَوْت لَكَانَ لَهَا نبأ آخر وعيش آخر سوى عيشها البهيمي وَالله الْمُسْتَعَان))، إلى آخر كلامه -رحمه الله تعالى- في صفحة (79-81) من كتابه البديع العجيب كتاب (الفوائد).

النبي -ﷺ- فصّل لنا في هذا المثل، والحديث ثابت عن رسول الله -ﷺ- في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله تعالى عنه-، النبي -ﷺ- ذكر هذا المثل المائي فقال -ﷺ-: ((مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً))، مثل الماء النازل من السماء، الغيث هو ماء نازل من السماء أصاب أرضاً، الأرض شُبِّهَت في الآية بسيل، فالسيول لها مقادير، فسيل كبير يحمل ماء كثير، وسيل صغير يحمل ماء قليل ((فسالت أودية بقدرها))، فالنبي -ﷺ- يقول: ((مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير)).

الأرض أقسام، الأرض ثلاثة أقسام في المثل، والثلاثة اقسام هي تفسير للأودية المذكورة في الآية، الأودية المذكورة في الآية فسرها النبي -ﷺ- بأنها ثلاثة أقسام، وأرجو الله أن نكون من القسم الأول (آمين)، فإن لم نكن من القسم الأول فمن القسم الثاني، ونعوذ بالله أن نكون من القسم الثالث؛ الإمام ابن القيم فصل تفصيل بديع في القسم الأول والقسم الثاني والقسم الثالث في الحديث، قال: ((فكان منها طائفة، قلوب أودية الله تعالى أنزل الغيث فالنبي -ﷺ- قال فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء.. قبلت الماء، فطرة سديدة فطرة ما مسخت، فطرة بقيت على الخلقة التي خلقها الله تعالى له، فاجتمع الهدى والنور في الفطرة السديدة فكان نوراً على نور، نور الفطرة ثم نور التوحيد ونور العلم ثم نور السنة ثم نور الطاعة، نور عجيب بأصناف كثيرة ، نور فطرة ، نور توحيد ، نور سنة نور طاعة.

قال الصنف الأول أمسكت الماء، وهذا إمساك الماء أنبت الكلأ والعشب.

الصنف الثاني قال: ((وكان منها طائفة أجاذب)) جذباء ما فيها تربة ما فيها مقومات للنبات، هل في ناس عندهم علم ولا ينبت؟

كيف العالم ينبت؟

بكتبه وتلاميذه.

هل في ناس علماء أجاذب لا ينبتون؟

نعم، يوجد صنف لا ينبتون، لكن هذه القلوب هذا الصنف الثاني له حسنة.

ما هي حسنته؟ أمسكت الماء، ما ضاع الماء، الوحي امسكته حفظته، حفظ الوحي، قال: ((وكان منها طائفة أجاذب أمسكت الماء، فسقي الناس زرعوا)) .

لكن ما أنبتوا، لكن مسكت الماء فسقوا الناس وزرعوا.

قال: ((وأصاب منها طائفة أخرى، وإنما هي قيعان لا تمسك الماء))، الماء الذي دخل يضيع في أرضها، فليست هي جدماء ممسكة.

قال: ((وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه الله ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به))

اسمع الآن تعليق الإمام ابن القيم على هذه الفرق الثلاثة، -سبحان الله يهب الحكمة من يشاء، الهم علمنا كما علمته-.

قال: ((فجعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس بالنسبة إلى الهدي والعلم ثلاث طبقات)).

((الطبقة الأولى: ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوة إلى الله عز وجل ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهؤلاء أتباع الرسل ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ حقاً، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها وزكا الناس بها.

وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة ولذلك كانوا ورثة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم الذين قال تعالى فيهم {واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار})).

فالأيدي القوة في أمر الله ، والأبصار البصائر في دين الله .

قال: ((فبالبصائر يدرك الحق ويعرف، وبالقوى يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه)) .

صاحب قوة نظرية وصاحب قوة عملية ، قوة نظرية يعرف بها الحق ويميز بين الحق والباطل ولا تختلط عليه الأشياء .

اليوم مصيبه المسلمين في النوازل الاختلاط ، اختلاط الأشياء، لا يوجد بصائر، البصائر تمييز الحق من الباطل كما تميز بين الأشياء ، الحق والباطل أمر ليس محسوساً وإنما هو يُتصور أن تكون عندك قوة في البصائر عملية تميز بها بين الحق والباطل فتنصر الحق وقد يكون صاحب الحق اختلط عليه الحق والباطل .

مثل ما يجري اليوم .

هل المسلمون اليوم ينتظرون الروافض ليأتوا ببلادنا وينتظرون الروافض ليسلحونا ضد اليهود؟

و الله إن هذا غثاء لا وزن له ولا قيمة له .

ودائما ما أقول وقلت وأنا لست بسياسي لكن افهم كل ما يجري على الواقع في جميع الأحداث صغيرها وكبيرها وضع معادلة أمامك لا تنثني ولا تتردد ضع أمامك يهود أميركا

واحد وليسوا اثنان أُصبت في نتائجك الأمور متى تعرفها؟ بنتائجها أنا أورطك وبعدين ابعد عنك نصر موهوم، يشف قلوب المؤمنين، شيخنا الألباني لما كانت تقع هذه الأحداث كان يقول بفش الغل الذي تراه بفش غلك ولكن ما يقنعك ما يُشبعك ما يُغنيك ما يكفيك فقط يفش غلك كل الذي يجري فش غل الضريبة التي تقابلها شعب يُسحق ، شعب بتمامه وكماله يُسحق ، هل هذا يلزم منه أننا نناصر اليهود ونحب اليهود أعوذ بالله لا نناصر اليهود ولا نحبهم ولعن الله من ناصرهم ولعن الله من يحبهم الأمة تحتاج إلى الفريق الأول الفريق الأول من العلماء كدت أن لا تراهم إلا في كتاب أو تحت تراب الفريق الأول صاحب البصائر أولي البصائر كما قال الله عز وجل:{أولي الأيدي والأبصار الأبصار بصيرة تميز فيها الحق والباطل وعندهم قوة وقوة يُظهرون هذا التمييز فينصرون الحق ويحاربون الباطل .

قال الإمام ابن القيم في هذه الطبقة ما أحوج الناس إليها .

تعلمون إخواني ان هذه الطبقة هم أولياء أمور المسلمين، قال الله:{يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} .

من ولي أمرك ؟

البخاري وأبو هريرة وجمع من السلف قالوا: ولي أمر المسلم اثنان الحكام والأمراء لإصلاح معيشة الناس والعلماء الربانيون لإصلاح دينهم ، فولي كل من يقول لا إله إلا الله وليه الأمراء والحكام لإصلاح الدنيا والعلماء لإصلاح الدين، فكل من يطعن في العلماء هو يطعن في الدين فيه شبه من الخوارج ، الذين يطعنون في أولياء الأمور ، نحن عندنا الخارجي الآن الذي

يطعن في الأمراء والحكام وكذلك الذي يطعن في العلماء هو خارجي أيضاً هؤلاء من الخوارج

.

قال ابن القيم: ((فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم في الدين والبصر بالتأويل، ففجرت من النصوص أنهار العلوم واستنبطت منها كنوزها ورزقت فيها فهماً خاصاً، كما قال أمير المؤمنين على أبن أبي طالب ـ وقد سئل :هل خصكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء دون الناس؟ فقال :ـ لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه، فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذي أنبتته الأرض، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة))

.

ديننا ما هو طبقات، ديننا ليس فيه عنصرية ، ما خص النبي ﷺ آل البيت بشيء، الدين دين الله .

طبقة ماذا عملت؟

حبست الماء ومع حبس الماء هذا وادي هذا النوع الأول من الأودية المذكور في الآية الوادي حبست الماء وأنبت هذا الماء الكلأ والعشب الكثير، الكلأ ما يأكله الناس والعشب ما تأكله الدواب تأكل الدواب العشب حتى نأكل لحمها فكان هذا الماء فيه بركة وفيه خير وفيه نفع وفيه بقاء وليس هو رغوة هذا النوع الأول.

ابن القيم ذكر الطبقات ثم مثَّل على كل طبقة بعد قليل يأتينا التمثيل حتى تفهم الشيء فهما قوياً أن تعرفه بحده بتعريفه الذي لا ينفك عنه ثم تعرفه بأثارة و وأمثلته.

قال ابن القيم : ((إنها حفظت النصوص وكان همها حفظها وضبطها، فوردها الناس وتلقوها منهم، فاستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها وبذروها في أرض قابلة للزرع والنبات ووردها كل بحسبه {قد علم كل أناس مشربهم}))

من الذي أخذ هذه النصوص؟

أناس ينبتون من الطبقة الأولى اخذوا هذه النصوص فحصل تكامل بين الطبقة الأولى والثانية، الأولى هي التي استنبطت و فجرت نصوص الكتاب والسنة واستخدمت جميع أنواع الدلالات يستنبطونه أشياء ما لا تخطر في بال الطبقة الثانية حفظت لكن حفظت الماء، فورد هذه الطبقة من الصحابة إن وُجد منهم ورد منها التابعون وإن كانوا من التابعين فوردها تابعوا التابعين وإن كانوا من التابعين فردها الذين من بعدهم فأخذوا هذه النصوص وكانت هذه الفئة فئة قبلت الماء وبذرها ووضعته وفجرت منه كما فعلت الطبقة التي قبلها .

قال: ((وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها كما سمعها)) .

الإمام أحمد رحمه الله صاحب معرفة في النقول بأقوال النبي ﷺ وأقوال الصحابة و أقوال التابعين لم يُعرف عن شخص قط انه حفظ كما حفظ .

الشافعي رحمه الله صاحب استنباط عجيب وكان يظهر استنباط الشافعي في المناقشات .

وطالب العالم إن أراد متعه وأراد أن يكبر عقله لا علمه وعلمه أيضا يقرأ مناظرات الشافعي ، مناظرات الشافعي ألف الشيخ السعدي رسالة في المناظرات وهي ناقصة والنقص شديد وكثير .

فمناظرات الشافعي يقولون عنها: إذا رأيت الإمام الشافعي يناظر أحدا كأنه أسد فاغر فاه ، فاتح فمه، ما أحد ناقشه إلا بلعه، لا يقف أبدا .

والشافعي ناظر أحمد ، والإمام أحمد انقطع في المناظرة وترك القول بالكفر تارك الصلاة.

وناظر مُحَمَّد بن حسن الشيباني، ومازحه، –وكان سمينا– فلما غلبه ، قال الشافعي للشيباني: لم أرى في سمين خيرا قط إلا في الشيباني .

فالشاهد أن العلماء أصحاب استنباط وأصحاب نصوص.

لذا لما ألتقى الإمام أحمد بالشافعي، قال الإمام الشافعي له : نحن الأطباء وأنتم الصيادلة .

الفرقة الثانية شبهها بالصيادلة تحفظ الدواء الفرقة الأولى شبهها بمن؟

بالطبيب الذي يثور النصوص ويفجر النصوص تفجيراً سديداً صحيحاً .

قال: ((نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها كما سمعها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)).

لذا في الحج كان عطاء في الموسم عطاء بن أبي رباح تابعي والدته أمة أسود اللون وكان الصحابة ﷺ في الحج ولما كان عطاء وهو تابعي في الموسم كان المؤذنون يؤذنون في الناس

بالحج ، عطاء في الموسم فلا يُفتي أحد وعطاء فيه، ما أحد يفتي من الصحابة دون غيرهم في الحج وعطاء في الموسم ، ما أجدر أن يُجمع فقه عطاء في الحج قبِله المسلمون قَبِله الصحابة و قَبِله الناس في ذاك العصر .

طبعاً جمعه اثنان او ثلاثة من الباحثين الجمع مع كثرة المصادر التي تتوالى علينا دائماً نحتاج أن نتجدد فبالتجدد يكثر الجمع .

يقول ابن القيم: ((هذا عبد الله ابن عباس))

عبد الله ابن عباس من أي الطائفتين؟

الطائفة الأولى .

((قال هذا عبدالله ابن عباس حَبر الأمة ترجمان القران مقدار ما سمعه من النبي ﷺ لم يبلغ عشرين حديثاً الذي فيه رأيت وسمعت مقدار ما سمع ابن عباس فقط سبعة عشر حديثاً أو ثمانية عشر حديثاً ابن القيم لخص قال: مقدار نحو العشرين من سبعة عشر وثمانية عشر))

هذا ما سمعه ابن عباس في صغره ، لكن النبي ﷺ دعا له ، وكان يحبه ، والده العباس ابن عبد المطلب كان ينتظر النَوبة التي يكون فيها النبي ﷺ عند ميمونه لماذا؟

لأن ميمونة خالته، فكان مع أول العشاء يدخل العباس عم النبي صلى الله وسلم على النبي ﷺ ومعه ابنه العباس فيتركه عنده حتى يتفقه منه .

الذي شاهده من النبي ﷺ أكثر مما سمعه منه ،وشاهد النبي ﷺ فكان القدوة له ومقدار ما سمع في صغر سنه سمع نحو العشرين حديث .

ابن حجر في فتح الباري لما ذكر حديث النبي ﷺ دعاء النبي لابن عباس قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، حرر بتحرير بديع أن هذا الدعاء تكرر من النبي أكثر من مرة ، وذكر في بعض ألفاظه أن النبي ﷺ كان يضمه إلى صدره من حبه له ، كان يضمه إلى صدره ويقول له اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل .

قال ابن القيم:((فهذا عبدالله ابن عباس حبر الأمة وترجمان القران مقدار ما سمع من النبي ﷺ لم يبلغ عشرين حديثاً الذي فيه سمعت ورأيت وسمع الكثير من الصحابة وبورك في فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علماً وفقهاً))

قد يعترض بعض إخواننا أو قد يجول في قلبه شبهة تقول لو نحن مسكنا مسند عبد الله ابن عباس ومسند الإمام احمد أو في المعجم الطبراني الكبير اصحاب المطولات ما أريد أذهب البخاري ومسلم لوجدنا له مئات الأحاديث فكيف تقول ما سمع غير عشرين حديث؟

شبهه في محلها صحيح ؟

لكن جُل ما روى عبدالله ابن عباس عن رسول ﷺ في المطولات كمسند الإمام أحمد والطبراني الكبير وغيرهما من المطولات إنما هي من المراسيل .

ما هي المراسيل؟

نأخذ البخاري، البخاري في حديث ابن عباس يذكر صفة اغتسال النبي ﷺ مفصلة .

ابن عباس كيف رأى ابن عباس النبي وهو يغتسل هو ما سمعه ولا رأى النبي ﷺ وهو يغتسل .

الحديث الذي بعده اخرجه البخاري من طريق ابن عباس عن ميمونة.

فهذا الذي رواه ابن عباس من صفة غُسل النبي ﷺ ممن أخذه؟ أخذه من خالته ، ميمونه خالته لابن عباس ، ولذا العباس كان يذهب به يوم تكون نَوبة النبي ﷺ من ميمونه .

فأحاديث ابن عباس التي سمعها من النبي مباشرة قليلة وجُل الأحاديث الموجودة في المطولات من المراسيل .

هل مرسل الصحابي حجة؟

نعم حُجة.

ماذا يعني مرسل الصحابي؟

هو لم يسمعه بنفسه وإنما اسمعه بوساطة صحابي آخر .

فالصحابة كلهم عدول وهذا مأخذ الإمام أبي حنيفة في حجية المرسل قال في زمن الصحابة والتابعين لا يوجد كذب في التابعي من قال قال النبي ﷺ فلا يروي إلا عن ثقة فأبو حنيفة .

انظر إلى حجية المرسَل عند علماء الأصول ، كلما تأخر الزمن قَلت الحجية ، وكلما تقدم الزمن ؛ اشتدت الحجية.

أقدم الفقهاء مَن من الأئمة الأربعة ؟

أولهم أبو حنيفة ، أبو حنيفة عنده حجة بإطلاق.

مالك قال :

حجة إذا وافق عمل أهل المدينة.

الشافعي قال :

ضعيف ضعف يسير ، ويجبَر بالشواهد والمتابعات.

أحمد قال :

ضعيف مرسَل.

تلاحظ هذا المعنى من خلال حجية المرسل.

يقول ابن القيم : ((قال أبو مُحَمَّد ابن حزم :جُمعت فتاوى عبدالله بن عباس في سبعة أسفار كبار ، وهي بحسب ما بلغ جامعها)).

هذا الذي عرفه ، لكن فاته شيء كثير.

قال: ((وإلا فعلم ابن عباس كالبحر ، وفقهه ، واستنباطه ، وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس ، وقد سمع كما سمعوا)).

الصحابة اعترضوا على ابن عباس ، لأنه صغير ، فقالوا نحن كلنا كبار إلا ابن عباس صغير ؟!

اعترضوا على عُمَر.

فامتحنهم ، بسؤالهم عن قوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر : 1]

قال ماذا تفهم منها يا ابن عباس ؟

قال أفهم أن الله عز وجل يعزي نبيه بهذه الآية.

جاء النصر ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، ما بقي للنبي ﷺ إلا أن يلتحق بربه ، قام بمهمته.

من الذي يفهم هذا الفهم ؟!

لا يفهمه أي أحد ، هذا الذي يفهم هذا الفهم الذي دعا له النبي ﷺ :

اللهم فقهه في الدين وعلمه التوحيد.

قال : ((قد سمع كما سمعوا ، وحفظ القرآن كما حفظوا ، ولكن أرضَه كانت من أطيب الأراضي ، وأقبلها للزرع ، فبذر فيها النصوص ، فأنبتت من كل زوج كريم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره ، واستنباطه من فتاوى أبي هريرة؟))

أبو هريرة من أي صنف؟

من الصنف الثاني.

أين فقه ابن عباس من فقه أبو هريرة؟!

كما في صحيح مسلم ، كان أبو هريرة يقول في قصصه :من أصبح جُنُباً فقد أفطر.

يعني أذَّنَ الأذان الثاني وهو جنب ، – كان جنب في الليل ثم قام وتَسحَّر ، وما اغتسل ، لأنه يريد الاغتسال بعد أن يدخل الفجر الثاني.

فهل هذا أفطر ؟

فسمعت عائشة قوله – والقصة في صحيح مسلم ، فقيل لها : إن أبا هريرة يقول : من أصبح جنباً فقد أفطر.

فقالت : سبحان الله ، ما يدريه إن رسول الله ﷺ كان يصبح جنبا وهو صائم.

كان الرسول ﷺ يدركه الفجر ، لكن الجنابة أين تكون ؟

بالليل.

لذا فإن فتوى: (فمن أصبح جنباً فقد أفطر). فإن الفتوى خطأ.

أبو هريرة رضي الله تعالى عنه نبرأ إلى الله ممن يطعن فيه ، لكن أي فقه أبي هريرة مع فقه ابن عباس؟!

قال : ((وأين تقع فتاوى ابن عباس ، وتفسيره ، واستنباطه ، من فتاوى أبي هريرة ، وتفسيره ، –وأبو هريرة أحفظ منه– ، أبو هريرة أحفظ من ابن عباس. هو حافظ الأمة على الإطلاق ، يؤدي الأحاديث كما سمعها ، ويدرسه بالليل درساً ، فكانت همته مصروفة إلى حفظه ،

وبلَّغ ما حفظه كما سمعه. وهمة ابن عباس مصروفة الى التفقه والاستنباط ، وتفجير النصوص ، وشق الأنهار منها ، واستخراج كنوزها ، وهكذا الناس بعده قسمان. قسم حُفاظ: يعتنون بالضبط والحفظ والأداء كما سمعوه ، ولا يستنبطون ، ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه. قسم يعتنون بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص والتفقه فيها)).

هو يتكلم عن من ؟

عن أودية بقدرها.

قد يقول قائل: ما صلة هذا بالمثَل؟

الأودية ثلاثة أقسام :

① الوادي الأول : مستنبِط.

② والوادي الثاني :حافظ.

فبدأ يذكر هذا وهذا.

قال : ((المثل الأول وهم الحُفاظ الذين لم يعملوا على الاستنباط. ك (أبي زرعة الرازي ، وأبو حاتم الرازي ، وك مُحَمَّد بن بشار ، وعَمر الناقد ، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، وقبلهم مثل مُحَمَّد بن جعفر غندر ، وسعيد بن أبي عروبة ، وغيرهم من أهل الحفظ والاتقان والضبط) ، لِما سمعوه من غير استنباط وتصرف واستخراج الأحكام من أن من ألفاظ النصوص)).

هؤلاء حُفاظ مثل الأرض الجدباء ، التي كان من بركتها أنهم أمسكوا الماء ، ما ضيعوا الماء ، ليسوا من الصنف الثاني وهم القِيعان.

قال : ((والقسم الثاني –وهو الصنف الأول في التقسيم– ، مثل مالك ، والشافعي ، والأوزاعي ، وإسحاق ، والشافعي ، وأحمد ، والبخاري ، وأبي داود ، ومُحَمَّد بن نصر المروزي ، وأمثالهم –ممن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية–. فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ، وهم الذين قبلوه ، ورفعوا به رأساً. وأما الطائفة الثالثة : –طائفة القيعان– هم أشقى الخَلق ، الذين لم يقبلوا هدى الله ، ولم يرفعوا به رأساً. فلا حفظ، ولا فهم ، ولا رواية ، ولا دراية ، ولا رعاية)).

هم أشقى الخلق.

{أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ...} [الرعد : 17]

كل واحد له قدر –حتى الطوائف الثلاثة– لو أنك أخذتَ الطائفة الأولى ؛ لوجدتها متفاوتة فيما بينها.

فهم أودية ، وهذه الأودية له قَدر ، والطائفة الثانية كذلك ، والطائف الثالثة كذلك.

فالأولى والثانية طبقات بعضها فوق بعض ، والطبقة الثالثة دركات ، بعضها دون بعض.

قال: ((فالطبقة الأولى أهل رواية ودراية، والطبقة الثانية أهل رواية ورعاية ، لهم نصيب من الدراية ، بل حظهم من الرواية أوفر. والطبقة الثالثة الأشقياء –لا رواية ولا دراية ولا رعاية–.

إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا. فهم الذين يضيقون الديار على سعتها ، ويغلون الأسعار –يجعلون الأسعار غالية– ، بسبب شؤمهم ، وشؤم معاصيهم. لا هَم لأحدهم ؛ إلا بطنه ، وفرجه ، فإن ترقت همته ؛ كان همه مع ذلك كالطاووس لباسَه وزينته. فإن ترقت همته فوق ذلك ؛ كان همته الرئاسة ، والانتصار للنفس))

وهذا كالحديد والنحاس.

ثم ضرب الله مثلاً ثانياً ، وهو المثل الناري ، هذا المثل الأخير الذي ذكره الإمام ابن القيم.

ولا مجال معنا الآن أن نكمل –الوقت قد ضاق– ، لكن يمكن أن تفهم ، وأختم بهذا المثل المائي ، يعني أشبه ما يكون بصراع الأفكار والمبادئ والمناهج.

فعناصر هذا المثل : ماء ، وادي ، سيل ، غثاء، كلها عناصر باردة لا حرارة فيها.

ممكن أن تفهم المثل الناري الآتي معنا في درسنا القادم –إن شاء الله– بالصراع الحربي ، الذي فيه سلاح ، فهو نار ، وهو فيه حرارة ، وفيه –يعني كما قال الله عز وجل في الآية–: {.. وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ....} [الرعد : 17]

الآية فيها إشارات واضحة جدا ، إلى أن المثل في الحق والباطل ، الله يضرب الأمثال ، الله جل في علاه في هذه الآيات ازداد فيها المبنى ، فازداد المعنى.

الباطل فقاع ، في ماء ، سريع جاري من سرعته ، وصفه الله: فسالت أوديةٌ. ذَكَر المحل وهو الواد ، وأراد به الذي فيه، مثل رأيت السماء ، وهو العشب ، يرعى الإنسان العشب ، والسماء هو المطر هو الذي يرعى الذي ينبته ، وهذا معروف عند العرب.

فالباطل جفاء ، يذهب بذهاب السيل ، والحق فيه عنصر الثبات.

وفي المثل : تأكيد على بقاء الحق ، وأن الحق لا يضيع ، وأن الحق باق.

الذي يخسر اليوم في الصراع ، في قانون المدافعة –الجاري اليوم– ، أول من يخسر هم الغرب ، خسروا دين الله ، وخسروا الآخرة ، وخسروا الحق. عندهم قوة ، وعندهم مُكنة ، لكن ما انتفعوا بها ، أضروا بأنفسهم ، وأضروا بغيرهم.

ما الذي يضيرهم أن يعرفوا الحق؟!

أصحاب مُكنة ، وأصحاب معرفة ، يعرفون الطب ، يأخذون حديث النبي ﷺ ، يفحصونها عندهم ، في مختبراتهم.

يعرفون ، حتى يميزوا بين الحق والباطل.

النبي ﷺ ، قال عن الهِر: من الطوافين عليكم والطوافات.

وقال عن الكلب : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات ، أولاها بالتراب.

يدخل هذا في المصانع ، في المختبرات ، ماذا في لعاب القط ؟

لا يجدون فيه شيئا ما يضر هذا اللعاب.

والكلب على خلاف ذلك.

من لذي عرف النبي ﷺ بهذا ؟!

هم الذين خسروا ، خسروا أنفسهم ، ومن اتبعهم من الزَّبد ، الذي كثر في هذه الأمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الزبد الذي تمُر به حالات ، فينتفخ ، ويكبر ، وينمو ، ويبرق على وجه تكاد تقول أن هذا السيل جبل ، لا شيء فيه إلا الزبد.

لكن هذه نظرة ناقصة ، نظرة المريض.

الذي يفحص ماذا يجري في هذه الأودية ، يرى أن هذا السيل هو الذي غطى ، لكن ما هو تحت السيل ؟

هل هو زبد ؟

لا ، بل الذي تحته ماء ، الذي تحته ماء الحياة ، الماء الذي تحيا به القلوب ، الذي أنزله الله تعالى من السماء ، هو كلامه ، هو وحيه ، هو شرعه ، سبحانه تعالى الذي لا يمكن لأحد أن ينكره ، وكل عاقل لَما ينظر إلى الى هذا القانون –قانون المدافعة– ، ويفحص ؛ يجد الحق ، ويعرف الحق.

قال تعالى: {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ} [الحج : 15]

فليمدد بسبب : أي بحبل إلى السماء ، أي إلى السقف.

يقطع من الحبل ، السبب الذي من السماء ، بمعنى فليشنق نفسه ، فليمت غيظاً.

ينظر : هل الغيظ الذي في قلبه يذهب بأن يشنق نفسه ؟ لا حول ولا قوة الا بالله.

هذا هو المثل .

وإن شاء الله في درس قادم ، نتكلم عن المثل الناري ، والكلام فيه قصير ، ولعلنا نتجاوزه إلى المثل الذي بعده.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.